



خطبة صلاة الجمعة 12 / 3 / 2021 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(علمني الإسراء والمعراج)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به. والأذن الواعية: هي أذن سمعت وعقلت ما سمعت، أو هي أذن تحفظ ما سمعت، وتفكر فيه وتعمل بموجبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها؛ ثم بلغها، فَرَبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الحادية عشرة في سلسلة عناوينا (توعية)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحة مرة لنعمم خيرها وننشر فضلها، وخاطئة أو مخطئة مرة لنحذر شرها ونترك فعلها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يجب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: علمني الإسراء والمعراج.

الإسراء: هو إذهاب الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بمدينة القدس في جزء من الليل، ثم رجوعه من ليلته.

المعراج: هو إصعاده صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماوات السبع، وما فوق السبع، حيث فرضت الصلوات الخمس، ثم رجوعه إلى بيت المقدس في جزء من الليل.

الإسراء ثابت بالقران المتواتر، والأحاديث الصحيحة المتكاثرة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]

والمعراج ثابت بالأحاديث الصحيحة التي اتفق على بعضها البخاري ومسلم، وقد أشير إلى المعراج

في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 17، 18].

جمهور العلماء- سلفاً وخلفاً- على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اللحظة بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكرت الإسراء والمعراج كتب السيرة والحديث والتفسير ودلائل النبوة وغيرها.

واليكم أيها الإخوة أربع فوائد تعلمتها من معجزة الإسراء والمعراج تتناسب مع ما نحن فيه:

1- علمني الإسراء والمعراج أن الفرج يأتي بعد الضيق، وأن العطاء بعد المنع، وأن السعة بعد

العسر:

مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عشر سنوات تذيقه قريش فيها الأمرين؛ لأنه يدعوهم إلى الله تعالى ويريد لهم سعادة الدارين، عذبوا أصحابه وهجروهم وحاصروهم، سخرؤا منه وآذوه وشتموه وهددوه، وآخر ما جرى أنه ذهب للطائف لدعوة أهلها فسلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم ومجانينهم، فضربوه ورموه بالحجارة وأدموه ورد عليه كبراءهم أشنع الرد. وصادف في عام واحد أن ماتت خديجة رضي الله عنها سنده الداخلي ومات عمه أبو طالب سنده الخارجي، واشتد الخناق وادلهم الليل وبلغت القلوب الحناجر وأغلقت الأرض أبوابها.

في هذه الشدة الشديدة والضائقة الضيقة جاءت معجزة الإسراء والمعراج لتفتح السماء أبوابها إذ أغلقت الأرض، وليجتمع صلى الله عليه وسلم في السماء بالأنبياء إذ انفض من حوله في الأرض الأشقياء، وليرى من آيات ربه الكبرى بعد أن رأى في الأرض الشدائد والعسرى.

فالإسراء والمعراج يعلمنا أن الفرج يأتي بعد الضيق، وأن العطاء بعد المنع، وأن السعة بعد العسر. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35].

2- علمني الإسراء والمعراج أن الفرج يأتي فوق ما تتصور وفوق ما يتصوره الآخرون:

مَنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَجْتَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِالْأَنْبِيَاءِ يَسْلَمُ عَلَيْهِمْ وَيَسْلَمُونَ عَلَيْهِ!! يَقُولُ لَهُ آدَمُ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: (مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالابْنِ الصَّالِحِ)، وَيَقُولُ لَهُ إِدْرِيسُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ). مَنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَجْتَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِسَيِّدِنَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَرَاهُ بِصُورَتِهِ الْمَلَائِكِيَّةِ!! ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13] ثُمَّ يَجْتَمِعُ بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ وَخَزَنَتِهَا يَسْتَفْتِحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فَيَفْتَحُونَ لَهُ، وَيَفْرَحُونَ بِقُدُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: (مَرْحَبًا بِهِ، فَلْنَعْمِ الْحَجِيءُ جَاءَ).

مَنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَبْلُغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانًا تَنْقَطِعُ عِنْدَهُ عُلُومُ الْخَلَائِقِ، وَلَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَيَعُودُ لِأَمْتِهِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ هِيَ خَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ!!.

وَقَدِيمًا سَعَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرٌ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرْوَةِ، وَأَقْصَى مَا تَتَمَنَّى مِنْ اللَّهِ أَنْ يَشْرَبَ رَضِيعُهَا إِسْمَاعِيلُ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ بَوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ، وَلَكِنْ الْفَرْجُ جَاءَهَا بِصُورَةٍ فَاقَتْ التَّوَقُّعَ..

لَمَّا بَلَغَ مِنْهَا الْجَهْدُ مَبْلَغَهُ، وَأَخَذَ مِنْهَا الْكَرْبُ مَأْخَذَهُ، وَأَيَقَنَتْ أَنْ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا إِلَّا بِاللَّهِ... سَمِعَتْ صَوْتَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَخَافِي الضَّيْعَةَ، وَجَاءَهَا الْفَتْاحُ بِالْفَرْجِ الْعَمِيمِ. تَفَجَّرَتْ زَمْزَمٌ عِنْدَ قَدَمِ إِسْمَاعِيلَ مَاءً مَعِينًا يَسْقِي النَّاسَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فالإسراء والمعراج يعلمنا أن الفرج عندما يأتي سيأتي فوق ما تتصور، فاثبت على الحق والزم طريق التقوى واصبر لحكم ربك وأكثر من ذكر الله ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: 48، 49].

3- علمني الإسراء والمعراج أن الفرج يأتي في وقت لا تتوقعه ويتسلل إليك تسلا:

فقد جاء في مطلع معظم روايات حادثة الإسراء في كتب الحديث والسير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ أتاني آتٍ... الحديث) ففي وقت لم يتوقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته معجزة الإسراء والمعراج.

وسُجِن سيدنا يوسف عليه السلام بضَع سنين، وفي وقت لم يكن يتوقعه وحال لم يكن يتمناه جاءه الفرَج العميم، لقد شاء الله أن يكون السَّجْن سبب الفرَج؛ لأنه لو لم يسجَّن لما تعرَّف على ساقِي الملك، ثم عبَّر الرؤيا للملك، ثم صار عزيزَ مصر.

كتب أحد الدعاة: كان يوسف مسجوناً وشابَّان آخرا، كان يوسف الأَجْمَل والأَحْسَن بشهادتهم ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:36]، لكن الله أخرجهم قبله، وظلَّ هو رغم كل ميزاته بعدهم في السجْن بضَع سنين، خرج الأول ليصبح خادماً، والثاني لِيُقْتَلَ، وانتظر يوسف طويلاً، لكنه خرج ليصبح عزيز مصر، ويلقى والديه، وليفتح له الفتح أبواب الخير.

فالإسراء والمعراج يعلمنا أن الفرَج يأتي في وقت لا تتوقعه ويتسلل إليك تسليلاً، فلا تيأس من روح الله ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

4- علمني الإسراء والمعراج أن حال الناس بعد الفرَج كحالهم قبله أما المؤمن فيزداد إيماناً وأما المكذب فيزداد تكديباً.

لما حدثت حادثة الإسراء والمعراج وهي معجزة تأخذ بالألباب وتقطع كل شك في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بعد أن طلبت منه قريش أن يصف لهم بيت المقدس ليتأكدوا من صدقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَطَفِّقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ). وأخبرهم عن غير لهم ستقدم عليهم فقدمت، فلم يزددهم ذلك إلا نفورا وأبى الظالمون إلا كفورا. أما أبو بكر رضي الله عنه فقال: (والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟ فو الله إنه ليخبرني أنَّ الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فأصدقه، فهذا أبعد ممَّا تعجبون منه). - سيرة ابن هشام -.

وبعد الإسراء والمعراج عاد رسوله الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للدعوة إلى الله بعزيمة أمضى وإرادة أقوى، وعاد أهل الضلال لضلالهم وأهل الفجور لفجورهم.

فالإسراء والمعراج يعلمنا أن الفرَج يزيد المؤمن إيماناً والمكذب تكديباً فشُدَّ الهمة في يسرك أو عسرك، في ضيقك أو سعتك لتكون ناصراً للحق ناشراً للخير.

5- علمني الإسراء والمعراج أن المسجد الأقصى توأم المسجد الحرام، وأن الأنبياء إخوة:

فإسراء من مكة إلى القدس، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، يشير إلى أن الذود عن أحدهما ذود عن الآخر، ولقاء النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المعجزة إخوانه الأنبياء، يشير إلى أن دين الله واحد وإن اختلفت الشرائع.

وبعد أيها الإخوة:

- هذه أربع من فوائد الإسراء والمعراج فيما يتناسب مع نحن فيه
- 1- الفرج يأتي بعد الضيق، وأن العطاء بعد المنع، وأن السعة بعد العسر.
 - 2- الفرج يأتي فوق ما تتصور وفوق ما يتصوره الآخرون.
 - 3- الفرج يأتي في وقت لا تتوقعه ويتسلل إليك تسلاً.
 - 4- حال الناس بعد الفرج كحالهم قبله أما المؤمن فيزداد إيماناً وأما المكذب فيزداد تكديباً.
 - 5- علمني الإسراء والمعراج أن المسجد الأقصى توأم المسجد الحرام، وأن الأنبياء إخوة.
- نسأل الله أن يعجل لنا بالفرج ويجعله محفوفاً بلطفه.

والحمد لله رب العالمين